عسلٌ مزيَّف

كان بديع الزمان يروي إحدى ذكرياته أثناء تواجده في إسطنبول، فيقول:

ـ في إسطنبول بين الكوبري إلى دار الورق (منطقة في إسطنبول) امتلأتْ بالنساء الكاشفات شعورهن، من تركيات وأرمنيات وأوروبيات، وكنا نحن الثلاثة أنا والحاج إلياس والشيخ سعيد طه قد ركبنا قارباً صغيراً بغرض النزهة، وكنا نمر من قرب هؤلاء النساء، ولم أدر أنَّ أصدقائي كانوا يراقبونني طوالَ الرحلة، ثم قالا لي:

ـ لقد احترْنا في أمرك، لم ترفع عينك وتنظر إلى إحداهن طوال الرحلة، لماذا؟

ـ وهل تريدان مني أنْ أُذْهِبَ ديني وعفَّةَ نفسي من أجل هذه المتعة الزائفة؟

عاش بديع الزمان في بيت والي مدينة بتليس ثلاث

سنوات، وكان في البيت نفسه يعيش بنات الوالي الستة، وكان ثلاثةٌ منهن في عمر الصبا، ورغم مرور ثلاث سنوات وهم يعيشون في نفس المكان، لم يستطع أنْ يميز إحداهنَّ عن الأخرى، لماذا؟ لأنه من المنطقي أنَّه لو نظر إليهنَّ ولو مرةً واحدة لاستطاع ذلك، وهذا يعني أنَّه لم ينظرْ إليهنَّ ولا مرةً واحدة.

وكانوا يسألونه:

ـ لماذا لا تنظر إلى النساء مثل كلِّ الشباب؟

فيردُّ قائلاً:

ـ إنَّ عز العلم الذي أحمله في جنبي لا تدعني أنظر!

❁ ❁ ❁

إن حلاوة هذه المتع الزائلة المحرمة هي مثل الذي يتذوق عسلاً يحوي داخله سمّاً زعافاً.

في البداية يستمتع بمذاق العسل، ولكنه سرعان ما سيعاني من الآلام المبرحة الناتجة عن السم.